**الـرومــانـتـيـكـيـة**

الحركات الممهدة للرومانتيكية

الحركة التنويرية.

التيار العاطفي.

سمات الرومانتيكية الفكرية والفنية.

الرومانتيكية في التطبيق.

الحركات الممهدة للرومانتيكية :

1- لم تلد الرومانتيكية في اوربا العربية كتيار فني وأدبي وفكري ايضا من فراغ أو تنفيذاً لرغبة مجموعة كتاب. بل مر ألأدب والفن وعموم الفكر الأوربي بمخاضات عسيرة وعديدة , من الممكن اعتبارها ممهدات لولادة الرومانيتيكة. فالصراعات المتنوعة السياسية وما نتج عنها من نشاط ثقافي وعلمي وفكري بل وفلسفي وظهور الأساليب وألأشكال الفنية المختلفة التي عاشتها اوربا في النصف الثاني وأواخر القرن الثامن عشر كل هذه العوامل أدت إلى زعزعة سلطان الكلاسيكية وإضعاف مكانتها الرائدة في الأدب والفن على وجه الخصوص.

2- علينا إذن أن نتذكر أن بين الكلاسيكية والرومانتيكية وقعت فجوة تاريخية طويلة نسبياً لكنها عميقة جداً تمثلت بالإنقلاب الحاد على الأولى والتمهيد لولادة الثانية. لكن وبما أن الكلاسيكية كانت قد تمكنت من مد نفوذها حتى شملت تقريباً كافة مناحي الحياة الثقافية والفنية والأدبية فإن التاريخ هنا أراد أن يكون منطقيا كعادته وأن يخلق الممهدات الضرورية الحقيقية والمناسبة لإضعاف الكلاسيكية على الأقل إن لم نقل القضاء عليها نهائيا. فتسبب بانبثاق أكثر من تيار إنقلابي ضد الكلاسيكية وصولا إلى محاصرتها وفرض أمر واقع جديد تمثل بولادة الرومانتيكية.

3- لا يمكننا قبول الرأي القائل بانحسار الكلاسيكية نهائيا من الفكر الأوربي الغربي والأدب والفن هناك لكننا نعترف بانتصار هائل للرومانتيكية على حساب الكلاسيكية التي رغم كل هذا بقيت موجودة ولو بأشكال محدودة المساحات وبتأثير اقل مما كانت عليه إبان فترات إزدهارها.

4- والسبب في بقاء الكلاسيكية وعدم مغادرتها التاريخ نهائيا يكمن في أنها كانت قد أنتجت أعمالا إبداعية - أدبية وفنية - كبيرة دخلت التاريخ وعلى يد كتابها الكبار ومبدعيها المتميزين. هذه الأعمال وهؤلاء الكتاب أصبحوا جزءاً أساسياً من ثقافة المجتمعات الغربية بل ومن هوية وجودها. بمعنى أنها تغلغلت عميقاً في البنية الثقافية للفكر والثقافة الغربيين.

الحركة التنويرية :

( هل يمكننا اعبارها النهضة الأوربية الثانية )

1- يكاد يتفق كل مؤرخي الأدب على أن العلماء والمفكرين والأدباء الذين قادوا حركة التنوير في أوربا هم أناس " إنسكلوبيديون " بمعنى موسوعات معارف بشرية. وأن حركتهم أدت أدواراً مهمة داخل مجتمعاتهم.

2- وبالرغم من أنهم كانوا متنوعي الإهتمامات والتخصصات لكن المهمات التاريخية الجبارة التي تصدوا لها كانت متطابقة مع بعضها رغم اختلاف البلدان والمجتمعات.

3- ويتفق المؤرخون على أن التنويريين كانوا ممن مهدوا للثورات الأوربية ولا سيما الثورة الفرنسية عام 1789 .

4- وبالرغم من أن الثورة بريطانية وقعت عام 1688 ( القرن السابع عشر ) إلا أننا بالإمكان أن نلمس أثاراً لها في أعماق العلاقات الإجتماعية وفي الوعي السياسي العام الذي قد يكون ساهم في التمهيد لزعزعة أنظمة الحكم في اوربا أوعلى الأقل بث الشك في ثقافاتها وبالتالي في تماسكها مما ادى إلى إسقاطها لاحقاً. يؤيد ذلك أن الأسباب التي ادت الى الثورة في انكلترا شبيهة بمثيلتها في فرنسا. فالثورة البريطانية كانت قد نشبت ضد طغيان الملك شارل الأول وحصره مطلق الصلاحيات بيده دون الرجوع إلى البرلمان وغير ذلك من الأسباب ذات العلاقة بمضوعنا.

5- لقد عمل التنويريون في اروبا على أن توظف كافة الجهود العلمية والمعرفية والبحثية بما في ذلك العلوم التجريدية في خدمة الإنسانية ومبادئها ومصالحها لا أن تحصر في أروقة ضيقة وغرف مظلمة.

6- لقد عملوا على تنوير العقول وتهيئتها للثورات المقبلة. وهم أنفسهم كانوا ثوارا وتصرفوا بروح ثورية واضحة وعالية الإندفاع.

7- رفضوا كل سلطان خارجي ولم يعترفوا به ‘لا بسلطان العقل والعلم والمعرفة العلمية الواقعية.

8- تعرضوا بالنقد الشديد واللاذع لكل الأفكار والمعتقدات السائدة وعرضوها امام العقل وأزالوا نهائيا كل ما لا يمكن إثباته علمياً وعقلياً.

9- لقد اصبح العقل هو المعيار الأوحد والجوهري في محاكمة الأمور وقياسها. فلقد حكم التنويريون على كافة أشكال النظم القائمة آنذاك السياسية والثقافية بما فيها أشكال الدولة بأنها باطلة وما هي إلا سقط متاع.

10- من المباديء المهمة جدا التي رسختها الحركة التنويرية : قطع دابر الخرافات والفكر الأسطوري والخيالي التي لم تكن لتستحق سوى الإزدراء والتسفيه. (( والآن تسطع شمس الحقيقة للمرة الأولى , وظهرت مملكة العقل , واعتبارا من الآن فإن الخرافات والظلم , الإمتيازات والإضطهاد تتقهقر جميعها أمام الحقيقة , أمام العدالة الأبدية وأمام المساواة النابعة من قوانين الطبيعة , وأمام حقوق الإنسان الثابتة)).

11- لقد اعتبرت قضية الإنسان وطبيعته المسألة المركزية في جميع نشاطات واهتمامات التنويريين السياسية والأدبية والفلسفية والفنية والجمالية. وأكدت هذه الحركة أن الإنسان طيب بالفطرة وبطبيعته وفي هذا تصدٍ لرأي الكنيسة السائد في الثقافة الدينية والتي يتردد بصيغة "الأثم ألأول" والذي يتحمل مسؤوليته الإنسان دون أن يعرف السبب.

12- ويفسر التنويريون مخالفة الإنسان لطبيعته الطيبة , أحياناً, بتعرضه إلى ضغوط كبيرة من جانب المحيط غير الطبيعي والظروف القائمة. فالنظام الإقطاعي والتمييز الطبقي وشتى أشكال التعصب وتعالي المتعالمين ( التعالم الإدعاء بالعلم الخاص والمغلق ).

الفيلسوف الإنكليزي التنويري جون لوك :

13- في تلك الأثناء كانت انكلترا قد تطورت فيها الظروف والعلاقات البرجوازية وترسخت مما عجَّل في تطور الثقافة والفلسفة البرجوازية والعلم والفن. لكن الحركة التنويرية في انكلترا لم تنهض وتزدهر إلا تزامناً مع تطور المناخ الاجتماعي المناسب في كل القارة الأوربية , هذا المناخ الذي مهد للثورات.

14- كانت انكلترا محط أنظار المفكرين والفلاسفة والفنانين الأوربيين الذين تعلموا فيها واستلهموا نماذجها الراقية. والتاريخ الحديث يؤكد ان الفلسفة والفن والأدب وحتى النظام السياسي جرى استقبالها واستلهامها في كل اوربا لا في انكلترا وحدها. وبالتالي انتشر مصطلح "التنويرية – enlightment " في كل اوربا كما في انكلترا بل وأكثر.

15- يلاحظ بعض المؤرخين للحركة التنويرية أنها وقعت بشيء من الإزدواجية والتوفيقية خاصة في انكلترا. لأنها لم تطرح الحلول للمشاكل التي تتبناها.

16- ويؤكد بعض المؤرخين وجود شئ من هذه الإزدواجية في أعمال جون لوك Jone Loke ( 1632 – 1704 ) الذي كان يجمع بين الجرأة العظيمة في طرح القضايا الفلسفية والإجتماعية والسياسية وبين تركها مفتوحة بلا حلول.

17- لكن أدب جون لوك وفكره وفلسفته تضع آفاقاً متنوعة في نهايات الإشكالات التي يتبناها مما يجعل إمكانية تعدد الحلول أو الإحتمالات قائمة وبالتالي فإن إمكانية الفهم المتنوع والمتعدد أيضا قد تكون قائمة. وإذا كان هناك من كان يعيب على لوك هذا التنوع فلعله لا زال واقعا تحت تأثير القيود الكلاسيكية التي لا تتيح إمكانية للتأويل المتعدد للنص.

18- على الصعيد الفكري ينفي لوك وجود الأفكار الغريزية في طبيعة تكوين الإنسان ويرفض القول بأنها تلد معه. وفي هذا يختلف مع أحد أهم تيارات المعرفة آنذاك والذي أسست له المدرسة الديكارتية ( نسبة الى الفيلسوف ديكارت ). ويرى أن النفس البشرية هي كالصفحة البيضاء تكتب عليها التجربة العملية ( الحياتية ) آثارها ورموزها.

19- ويرى لوك أن العقل هو القائد الأعلى للإنسان. ويشدد علىى أن الإنسان هو المسؤول الأول عن السعادة أو الشقاء البشريين. ويولي اهتماما خاصا لقضايا التربية التي يجب أن يكون هدفها نشأة إنسان راق متحرر ومنسجم مع نفسه وحريته متخلصاً من قيود العقلية القديمة التي رسمت معالمها وحدودها المفاهيم المدرسية العتيقة ( السكولاستية ) المليئة بضباب الحماسة المتعصبة والبطولات الزائفة.

20- لقد وقعت الحركة الأدبية التنويرية في انكلترا تحت التاثير الهائل لأفكار لوك بشأن التربية العميقة والحقيقية للإنسان والتي ينبغي أن تتجاوز التعليم المدرسي العادي بل ترافق الإنسان حتى نهاية حياته كما ان رأيه بشأن تأثير التجربة الحسية المباشرة للإنسان على تشكيل عقله وسلوكه هو الآخر استرعى انتباه التنويريين فراح يدخل كفكرة ومفهوم بشكل واضح في معظم الأعمال الأدبية الإنكليزية خلال القرن الثامن عشر.

21- ولسنا هنا في صدد الدفاع عن فلسفة لوك التي كان من الطبيعي لها أن تتعرض لإنتقادات مختلفة. لكننا نقف عن واحدة منها جاءت نتيجة إما لسوء فهم أو لاختلاف في الرؤى. يحاول البعض الطعن في تماسك المفهوم الجوهري لفلسفة لوك المتمثل بـ " الخبرة العملية" إذ يقول بوجود مصدرين متعادلين في الأهمية يتعلقان بالمعرفة , الأول هو " الأشياء الخارجية الملموسة " والثاني هو " العمليات الداخلية الجارية في أعماق نفوسنا". وهم يعتبرون هذا التقسيم نوعا من الإزدواجية أو الفصل القسري بين ظاهرتين تكادان تتكاملان تلقائيا. رايهم هذا صحيح . إذ لا يمكن فصل العالم الخارجي عما يقابله من فعاليات واعية وغير واعية داخل ذهن الإنسان. لكن ليس للمفكر والفيلسوف أن يدمج مفهومين مع بعضهما وهما من حيث طبيعتيهما منفصلين ( في المكان على الأقل ). لكن لوك بكل حصافة يجمعهما في المحصلة النهائية إذ يتتبع تأثير لقاءهما سوية في نفس الإنسان وفي ذهنه وبالتالي في تربيته ونشوئه.

22- في فرنسا كانت المهمة الأساسية للحركة التنويرية تتركز في التبشير بل والتحضير للثورة السياسية لذلك نرى أن الأعمال الأدبية آنذاك سادت فيها القضايا السياسية ذات البعد الوطني. كان هذا واضحاً في الفن وفي البحث الأخلاقي والفلسفة. وإذا كانت التنويرية اعتمدت مفهوم " الإنسان الطبيعي " في نشاطها الفكري والثقافي فإنها في فرنسا حولته إلى مفهوم " المواطن".

23- وكلما تعقدت الأوضاع السياسية وتفاقمت الأجواء في فرنسا كانت الملامح السياسية والوطنية للحركة التنويرية تزداد وضوحاً. وقادت التطورات الفكرية والسياسية لهذه الحركة إلى أن يتغلب مفهوم " المواطن" على مفهوم " الإنسان الطبيعي " بعد أن انتصر الصالح العام على المصلحة الفردية كإحدى نتائج الصراع الفكري الذي خاضته الحركة التنويرية على مختلف الجبهات. لذلك نجد أن قصة البطل الذي يبعث اولاده إلى الموت دفاعاً عن الوطن تصبح الموضوع المحبب لدى الفنانين وألأدباء كما أن مأساة " هوراس " لكورني فينفض عنها غبار النسيان الذي تراكم عليها لقرن كامل تقريبا لتكتسب اهمية سياسية جديدة وتنشغل بها باريس الثائرة كلها.

24- في إنكلترا تبنت الحركة التنويرية القضية الإقتصادية هدفا مركزيا لها لذلك اتسمت الحياة الثقافية والسياسية الإنكلزية بالطابع التوفيقي Compromise وتبنت دعم الإصلاح الإقتصادي مما عزز مواقع البرجوازية الإنكليزية ووجه جل اهتمامها الى الإنجازات الإقتصادية الأمر الذي قرب الأدب الإنكليزي الى الواقعية في رصد الظواهر الإجتماعية والطبيعية. لذلك نرى ان الشخصية المعينة في الأدب التنويري الإنكليزي هي شخصية "روبنسون كروسو " هذا الإنكليزي البسيط والذكي والذي يركز اهتمامه على العمل والإنتاج والذي استطاع ان يحقق في جزيرة غير مأهولة بالسكان اصلا علاقات اقتصادية لمجتمع برجوازي.

25- وفي الحقيقة أن الأدب الإنكليزي والقصصي منه خاصة تركز حول مصير " الفرد المستقل " كمبدأ فكري وثقافي وصارت الرواية التي تتحدث عن هذا البطل هي الصنف الأدبي الأبرز في أدب الحركة التنويرية الإنجليزية.

26- لكن يجب التذكير بما حققه الأدب التنويري الإنكليزي من االتوفيق بين التطلعات الفردية للمواطن من جهة والمصلحة الإجتماعية العامة من جهة أخرى. لذلك يمكن القول أن النزعة التوفيقية التاريخية للحركة التنويرية في انكلترا قد تحققت بأحسن أشكالها وأكثرها وضوحاً في إصرار الكتاب التنويريين الإنكليز على التوفيق بين التناقضات الحقيقية العميقة في داخل المجتمع البرجوازي وبين الثقة بطبيعة الإنسان الفرد المسالمة والإخلاقية الفاضلة.

27- إن من أهم سمات الأدب التنويري في اوربا ولا سيما في انكلترا وفرنسا هي:

- تقديس العقل في تحديد المواقف والرؤى.

- ارتباط الأدب بالواقع والحاجات الإجتماعية ( الإقتصاد في انكلترا والتهيئة للثورة في فرنسا مثلا).

- اتساع الأدب ليشمل الإنسانية كلها ويخرج من أطره القومية والوطنية المحدودة وهذا ما يسمى بالكوسموبوليتية أي العالمية أو الإنتماء لكل البشرية دونما اعتبار للحدود بين البلدان.

28- وهذا ما ثبت في أن الأدب الفرنسي مثلا كان قد تأثر بإنجازات الأداب الاوربية كلها واثر بدوره فيها وتفاعل معها.

29- تجب ملاحظة أن الباحثين يربطون بين التحولات السياسية التي عرفتها فرنسا إثر موت لويس الرابع عشر عام 1715 وبين بداية الحركة التنويرية الفرنسية حيث يلاحظ بداية انحلال النظام القديم والتدهور الحاد لطبقة النبلاء وتصاعد الإمكانيات الإقتصادية للطبقة البرجوازية التي تبنت مفاهيم الحركة التنويرية فراحت تطالب بتوسيع حقوقها السياسية.

30- ولقد تميزت فترة حكم لويس الخامس عشر ( 1723 – 1774 ) بالتدهور التام وانحلال نظام الحكم المطلق بل صار هذا النظام عقبة في طريق تقدم البلاد والمجتمع وراح الأدب التنويري يتبنى هذه الحقائق ويعبر عنها في محتلف نتاجاته.

31- ومنذ منتصف القرن الثامن عشر تنتهي المرحلة الأولى من الحركة التنويرية وهي ما يمكن تسميتها بمرحلة تجمع القوى الثورية والتغلغل التدريجي للأفكار التنويرية الى الأدب والفن. ومن هنا تبدأ المرجلة الثانية لهذه الحركة الكبيرة فتميزت بسيادة التعاليم السياسية والفلسفة الأكثر راديكالية وثورية. حيث تعمقت النزعة المادية في الفلسفة عند التنويرين وانتشرت اوسع من ذي قبل الأفكار التي تنادي بالجمهورية على حساب إزاحة نظام الحكم الملكي المطلق.

32- وإذا كان المفكر والفيلسوف الفرنسي فرانسوا ماري آروويه ويُعرف باسم شهرته فولتير ( 1694 – 1778 ) ‏ والذي تزعم حركة التنوير والذي عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان , قد فقد بريق إسمه فإن دوره الريادي في هذه الحركة قد تسلمه عن جدارة الفيلسوف ديدرو بوصفه قائداً للشرائح الثورية والتقدمية في المجتمع الفرنسي.

33- وديدرو هذا هو المخطط والمحرر الرئيس للموسوعة الشهيرة " الانسكلوبيديا " المشهورة باعتبارها أبرز معلم أدبي وفكري وثقافي وعلمي انتجه عصر التنوير الفرنسي والذي تكاملت فيه تماماً الإيديولوجية البرجوازية الثورية في فرنسا. وبفضل هذا المفكر وهذه الموسوعة وبقية المفكرين التنويريين غدت المرحلة الثانية من تطور الحركة تمتاز بالأدب المشبع بالأفكار الثورية التنويرية بالرغم من استمرار القطاع الإرستقراطي الرجعي في الإنتاج الأدبي والفكري أيضاً.

34- وبالرغم من كل هذا فإن بالإمكان ملاحظة أن انقساما بدأ يدب في صفوف التنويريين في هذا الوقت بالذات. ولعل هذا الأمر يبدو طبيعياً ومفيداً إلى حد ما. لأن خطاً أكثر ديمقراطية وتحرراً راح يتبلور داخل شرائح التنويريين ويقف في مقدمته المفكر والكاتب الكبير المعروف جان جاك روسو ( 1713 – 1778 ).

35- وقف روسو بثبات ضد إضفاء الطابع المثالي على " مملكة العقل " , وضد الدفاع الأحادي الجانب الذي تبنته الحضارة البرجوازية في سعيها لحماية " الحالة الطبيعية " للإنسان الذي لم يستفد بعد من عطاء هذه الحضارة.

36- لقد تبنى روسو فلسفة الشعور والإيمان التي تدافع بشدة عن حق الشخصية الإنسانية في الكفاح ضد الإضطهاد الطبقي واللامساواة بين أبناء المجتمع طرح هذه الفكرة في مواجهة التوجه الإلحادي والفلسفة المادية العقلية التي تمسك بها جماعة الإنسكلوبيديا..

37- وبالرغم من هذا فإن روسو الذي جادل التنويريين كان هو نفسه تنويرياً وديمقراطيا متحمساً وجمهوريا وواصل الجهاد بلا هوادة ضد النظام الملكي الإقطاعي الإرستقراطي وضد تجاوراته وخرقه للحقوق وللعدالة.

38- يجب التأكيد هنا ان الحركة التنويرية انقسمت بين قطبين يقف روسو على رأس الأول وسمي بالروسويين منهما وأما الثاني فيتصدره ديدرو ومعه أتباعه.

التيار العاطفي

Sentimentalisme

ودوره في التمهيد للرومانتيكية:

39- في خضم الاصطفافات في أوساط حركة التنويريين تبلور تيار كان بدأ شيئاً من مشواره روسو اتفق على تسميته بالتيار العاطفي الذي يؤكد كل المؤرخين أنه انبثق من أحضان الحركة التنويرية.

40- لذلك من الطبيعي اعتبار النزعة العاطفية ظاهرة أوربية عامة حيث أن الحركة التنويرية كانت قد شملت كل اوربا تقريبا. وبهذا يكون التيار العاطفي مرحلة جديدة من مراحل الحركة التنويرية تلك المرحلة التي سبقت الثورة البرجوازية الفرنسية عام ( 1789) مباشرة.

41- وفي الحقيقة فإن انتشار أفكار التيار العاطفي في أوساط الجماهير الشعبية أدى إلى أن يتطور كفاحها فيتجاوز معارضة النظام الإقطاعي ليشمل ايضا المثل العليا للطبقة البرجوازية وأخلاقها وسلوكيتها الإستغلالية. وفي هذا ما يشير إلى بدايات انقسام وتشظي في الطبقة الوسطى.

42- يعتقد أصحاب التيار العاطفي إن الإنسان الذي يعيش بمشاعره ويتحسس الواقع بها هو الذي يتمكن من سبر أغوار آلام وحاجات الجماهير الشعبية المضطهدة بسبب معاناته الصادقة في معايشة ظروفهم وتقاسم المشاعر معهم.

43- ولقد تراوحت النزعة العاطفية في بلدان أوربا الغربية بين الإتجاه التقدمي والإتجاه المحافظ وبين الثورية والإصلاحية لكنها في كل الحالات شكلت مرحلة متقدمة من مراحل الحركة التنويرية على الرغم من أن هناك من يعدها وهي في مرحلة قبيل الثورة الديمقراطية البرجوازية أقل درجة من المرحلة التي سبقتها. ونحن إذ لا نتفق مع هذا الرأي نشير إلى أن التيار العاطفي هيأ الأجواء للثورة في فرنسا وفي بعض بلدان أوربا الأخرى. ومن يتتبع نشاط هذا التيار في كل من المانيا وفرنسا وانكلترا في تلك الأثناء سيتوصل إلى رأينا هذا أيضاً.

44- وهناك من يعتبر الطوباوية والأبوية من سمات التيار العاطفي السلبية والتي تولدت نتيجة النشاط الفاعل لقادة التيار وعلى الأخص ديدرو وروسو. نعم. لكن ليس بإمكاننا أن ننتظر الكمال من حركة ناشئة وهي في خضم صعودها التاريخي وفي أوساط صراعات وتناقضات عديدة وعميقة. الطوباوية الأبوية تعرضتا للنقد الشديد فيما بعد على يد مؤسسي النظريات العلمية والفلسفة الماركسية بعد أن كانتا قد استنفذا دوريهما وما كان لهما من دور.

45- إن دفاع روسو عن المشاعر القوية والمخلصة والصادقة وعن كل العواطف الإنسانية العميقة ترتبط بمبدأ تحرير الإنسان من جميع أشكال الفكر الخرافي وألأسطوري والخيالي ومن الإستغلال الطبقي. لكن هذا الموقف الرسوي لم يتعمق ليصبح موقفا ثوريا ( مثل المطالبة بتهديم السجن بدلا من التعاطف مع السجين والبكاء معه على حاله ) إلا تحت تأثير الثورة الفرنسية التي قادت كل الأفكار والنظريات تقريبا إلى الموقف الثوري المطالب بقلب الأمور رأساً على عقب.

46- وهناك من يعتبر التيار العاطفي هو المرحلة التمهيدية المباشرة للرومانتيكية بل يذهب بعضهم إلى أنه المرحلة ألأولى منها وبعض آخر يرى أن هذا التيار هو جزء من الحركة التنويرية وأن ضمه للرومانتيكية يلغي المهمات الفنية والأدبية والوطنية التي حققها هو أو عموم الحركة التنويرية. وفي ظني أن هذا التيار هو المنطقة الوسطى بين التنويرية والرومنتيكية فهو نهاية التنويرية وبداية الرومانتيكية. ويمكننا الإستدلال على ذلك في أن التيار العاطفي يحتوي على انجازات التنويريين وعلى بشائر وممهدات الرومانتيكية , تماماً كما هو الفجر , تمتزج فيه بقايا الليل وتباشير الصباح.

التيار العاطفي في التطبيق:

شافتسبري :

47- وهو فيلسوف انكليزي صاحب مذهب الحاسة الخلقية (وهي القوة الكامنة داخل الإنسان والتي من خلالها يدرك الخير والشر وتميز بينهم تلقائياً دون أي تبرير, وتدفعه إلى عمل الخير تلقائياً ).

48- لقد كان لانتشار المادية التجريبية في أوربا بعد عصر النهضة تأثير في تفسير الأخلاق تأثيراً مادياً حسياً يتنافى مع الطبيعة الإنسانية مما أدى إلى ظهور مذهب الاتجاه الوجداني الحسي ……. الذي قاوم المنهج التجريبي وأكد على الكيان الإنساني منفصلاً عن التجربة ، وردوا مظهر الإلزام الخلقي إلى الوجدان والعاطفة ، وجعلوا الحدس هو وسيلة الإدراك الصحيح وليس الحواس وهو وسيلة التمييز بين الخير والشر.

49- ومن أشهر رواد هذا المذهب “شافتسبرى” الذي رد مصدر الإلزام الخلقي إلى (الحاسة الخلقية) ورفض أن يرد الإلزام الخلقي إلى الحواس واحتياجات الجسم وظروف المجتمع لأن الأخلاق أرقى من ذلك و أسمى من الخضوع للمحسوسات.

50- ومن أهم خصائص الحاسة الخلقية أنها :- معنوية باطنية - فطرية عامة - يمكن تنميتها - مستقلة بذاتها - تلقائية في تمييز الخير - تحمل جزائها في باطنها.

51- معنوية باطنية: فهي ليست مادية مثل حواس الإنسان الخمسة وإنما هي معنوية باطنية كامنة داخل الإنسان وأقرب شبهاً بالحاسة السادسة التي يقول بها بعض الناس … وأيضا تشبه الحاسة الجمالية عند الإنسان.

52- فطرية عامة: فهي فطرية وليست مكتسبة ، أي يولد الإنسان مزوداً بها ولذلك فأن أحكامها الأخلاقية عامة مطلقة وهى توجد في النوع الانسانى فقط ولا توجد فى الحيوانات.

53- يمكن تنميتها: فهي يمكن تنميتها عند الإنسان بالتربية الحسنة والبيئة الطيبة ويمكن أيضا القضاء عليها بسوء التربية وانحطاط البيئة.

54- تلقائية في تمييز الخير: إن الحاسة الخلقية تؤدى تلقائياً إلى الخير وتميزه عن الشر ، من خلال الحدس المباشر ودون أي تغير أو تبرير.

55- مستقلة بذاتها: مستقلة بذاتها دون أن ترتبط بأي مؤثرات خارجية مثل مصالحنا الخاصة ولا ترتبط بالعقل لأن طبيعتها وجدانية تقوم على الحدس المباشر لخيرية الفعل.

56- تحمل جزائها في باطنها: فهي تحمل في طياتها الباطنية الجزاء الأخلاقي لصاحبها.

57- مثال : إذا قمت بفعل أخلاقي يتوافق مع الحاسة الخلقية يحقق لي الشعور بالراحة النفسية والرضا الداخلي والعكس يسبب لي الضيق النفسي والألم الداخلي فالإنسان لا بد أن يكون شريفاً مهما كانت الفرصة أمامه ليكون دنيئاً ولو بعيداً عن الناس لأن طبيعته تدفعه إلى عمل ذلك تلقائياً.ل

58- أما العلاقة بين الحاسة الخلقية والحاسة الجمالية فيعتبر الاثنين متأصلين في طبائع البشر ، فالإنسان ينشر الخير وينفر من الشر وهما أيضا يتفقان في أنهما يقويان بالمران ويضعفان بالإهمال.

59- وتحت تأثيرنظرية شافستبري هذه وانتشارها انتقل تدريجيا اهتمام الأدباء الأوربيين ولا سيما الإنكليز منهم من تصوير الواقع الخارجي حيث تستقبله الحواس الى تسجيل وتصوير الحالة النفسية للفرد إزاء انعكاس الواقع في دواخله , أي ردود فعله السايكولوجية.

60- ولقد اصبحت فيما بعد هذه العودة الى الطبيعية البشرية والى الغريزة والى الأخلاقية الخاصة بالشعور الداخلي أحد أهم الشروط ألأساسية للنزعة العاطفية في الأدب الأوربي.

61- في نظرية شافستبري تفضيل صريح وعلني للمنظر " الوحشي " للطبيعة قبل أن تمسه يد البشر لذلك فهو يفضل هذا المنظر على المتنزه الذي خضعت فيه الطبيعة للرسم والهندسة والتقطيع حسب القياسات والأحجام وما الى ذلك. لذلك يعتبر هذا الفيلسوف الحراثة عملاً أفضل بكثير من التعدين الذي هو اعتداء وتدنيس لأسرار الأرض وأعماقها وأغوارها.

62- ووفقا لهذه النظرية يرى بعض أتباعها أن الإنسجام الكوني والجمال الطبيعي العام قد خرق بوجود الإنسان أو بسبب تدخله بعمل الطبيعة. ويطالبون بالعودة الى قوانين الطبيعة والحفاظ على جمالها الطبيعي بأن يتعلم الإنسان من الطيور والنحل والحيوانات والنمل التي هي أكثر سعادة من الناس وبالإمكان التعلم منها دروساً في السلوك الأخلاقي.

أدموند بيرك Edmund Burke :

63- إدموند بـِرك Edmund Burke (12 يناير 1729 – 9 يوليو 1797) كان رجل دولة أيرلندي ومؤلف وخطيب ومنظر سياسي، وفيلسوف، بعد أن انتقل إلى إنگلترة، خدم في مجلس عموم المملكة المتحدة .

64- هذا الفيلسوف أصدر عام 1757 كتابا شكل انعطافةً هامة في فكر التيار العاطفي وفي التمهيد أصلا للرومانتيكية وترسيخ الرؤى الفكرية العميقة للأدب والفن. عنوان الكتاب هو :- " بحث فلسفي حول أصل مفاهيمنا عن السامي والرائع ". وإذا كان مفهوم الرائع Beautiful قد عرفه الأدب والمعاجم النقدية وله مكانة في الثقافة الفنية العامة فإن مفهوم السامي Sublime يكاد يكون محصوراً في الأوساط الفلسفية والأكاديمية والشرائح المتخصصة. لكننا نجد لهذا المفهوم معانٍ نفسية ذات علاقة بالإنطباعات التي تتركها بعض الأماكن المظلمة أو المغلقة مثلا والتداعيات النفسية التي تتسبب بها. وبالتالي فإن الكاتب يقترب من النزعات العاطفية المناهضة للعقلانية الكلاسيكية ويقترب أكثر من الحس الرومانتيكي خاصة عندما يقول : " إن للصور المعتمة والغامضة وغير المحددة سلطاناً أكبر على المخيلة وتبعث في النفس عدداً من المشاعر والأهواء أكبر من الوضوح والتحديد ".

65- ونحن نعثر على شيء من قبيل هذه الأفكار في أساس بعض نظريات العالم النفساني يونج حيث يمجد " الإنسان الخالد " لأنه لا يجد في الحياة الأرضية مايستحق الإعجاب. وفي محاولته لتحرير ألإنسان من خشية الموت يحاول اقناعه بأنه لا يكاد يفقد شيئاً يسحتق الذكر حين يفقد الحياة.

66- ويبدو لي أن الشعر الغنائي هو أكثر أنواع الشعر ملائمة لهذا النوع من الأحاسيس. لذلك كانت الغنائية هي السمة المميزة للشعر الأوربي في منتصف القرن الثامن عشر والشعر الغنائي هو الصنف الوحيد السائد آنذاك. كما أن النزعة الذاتية Subjectivity كانت مسيطرة على غنائية هذا الشعر. ولنتذكر أن الغنائية هي أيضا الصفة ألأساس للشعر العربي الذي ينطلق من أعماق الذات الإنسانية للشاعر ومعاناته وأحاسيسه أثناء تفاعله مع محيطه أو مع ما يتعرض له من أحداث. والغنائية في الشعر الأوربي آنذاك عدها البعض ( توماس كري T. Gray ) أسمى من جميع الأساليب الأدبية.

67- من هنا فإن النقاد كانوا يعيبون العودة من غنائية الشاعر السامية إلى نثرية القصص العادية. وبالرغم من هذا التقييد فإن الغنائية دخلت النثر ايضا كما في اعمال جولد سميث Goldsmith وستيرن L. Sterne على سبيل المثال فأصبحت الغنائية أو اللغة الشعرية مهيمنة في الأدب.

68- ولقد كان الموضوعان المهيمنان على الشعر في التيار العاطفي هما: موضوع الطبيعة وموضوع الموت. وحين يتغلب احد الموضوعين على ألاخر سيكون أساسساً يبرر للباحث تسمية عدد من الشعراء تحت إسم مدرسة أدبية معينة مثل " شعر المقابر " بالرغم من أن الموضوعين تداخلا مع بعضهما ومع مواضيع أخرى.

69- من هنا فإن الكثير من الشعراء أحب العزلة واللجوء إلى الأرياف الرومانتيكية الموحشة حيث يجدون سعادتهم هناك بعيدا عن الناس وفي احضان الطبيعة التي أحبوها.

70- ويعتبر الموت تعبيرا مبالغاً عن المزاج الحزين والسوداوي لذلك فإننا نجد إلى جانب الشعر الرعوي ( الطبيعي ) شعر المراثي ( الحزن والموت ) لكن المرثية هنا ليست لتعداد فضائل المتوفى بل هي نافذة فلسفية تعالج موضوعاً يتعلق بمعنى الحياة وبفناء الحياة الدنيا.

الــرومــانـتـيـكـيـة :

71- بناءً على ما تقدم , يمكن ذكر العوامل التالية لظهور الرومانتيكية اخترناها لأهميتها من بين عوامل عديدة أخرى:

- صعود الطبقة الوسطى والتي اصطلح تاريخياً على تسميتها بـ ( البرجوازية ) وتأثيراتها المتنوعة اجتماعياً وسياسياً ومن ثم ثقافياً ومنذ بدايات القرن الثامن عشر واشتد عودها قرب اواسطه حيث راحت تنافس الأرستقراطية الإقطاعية والكنسية التي كانت قد بسطت نفوذها التام على كافة مرافق الحياة لا سيما السياسية منها. وشرعت البرجوازية تطالب بالقيم والمثل الجديدة كالتحرر والديمقراطية والإهامام بالفردية ورفع راية العمل الإنساني ومحاربة شتى أنواع التمييز العنصري والمحسوبية والمنسوبية وبشكل خاص تصدت لمبدأ وراثة الحكم. وإذا كان الأدب الكلاسيكي قد ولد وترعرع في أحضان الأرستقراطية والحكم المطلق وقيمه المحافظة والرجعية فإن الأدب الرومانتيكي صار أقرب الى أن يكون أدباً شعبياً يتوجه لجمهور غير جمهور الأدب الكلاسيكي. فموضوعاته صارت شعبية وتبنى مشاكل الجمهور الواسع الجديد الذي انشد للأدب الجديد وكتابه وراح يقرأ لهم فاقتربوا منه أكثر وعبروا عن المشاعر الفردية وحاجات الإنسان الأساسية والتزم كأدب جديد مباديء التجديد والفردية الذاتية والحرية والتصدي للقيم والشروط القديمة التي غدت حائلاً دونما تقدم أو تطور في شتى مناحي الحياة.

- لقد ساعد على ظهور وصعود الرومانتيكية نزعة التحرر القومي والاستقلال الوطني التي رافقت انتصار الثورة الفرنسية وانتشار الروح الثورية في بقية بلدان اوربا خاصة انكلترا وألمانيا واشتداد حركة المطالبة بالعودة الى اللغات المحلية القومية والتحرر من هيمنة اللغة اللاتينية والثقافة الأغريقية وتجميع الممالك والإمارات المتباعدة عن بعضها والمتنافرة في دول ذات طابع قومي متميزة عن غيرها. فكانت الرومانتيكية وليدة هذه الحركات بل ومشجعة لها ووجدت في ذلك كله سبيلاً قويا يتناغم مع تطلعاتها في التحرر من القيود الإقطاعية والكنسية وفي الميل الى الفردية والاسقلالية والذاتية. فراح الأديب يؤكد الطابع المحلي في أدبه فيعمد الى تصوير محيطه المباشر والقريب له جسداً وروحاً. وفي هذا انتشر أدب جديد غير الذي كان يفرض على القراء وعلى الجمهور.

- رافق كل هذا رغبة لدى الأدباء والفنانين في التحرر من القيود التي فرضت على الأدب نفسه مثل القواعد الشكلية والمضامين المحددة. فمبدأ الوحدات الثلاث ووحدة النوع وعالي اللغة وغير ذلك تحولت كلها بمرور الزمن إلى عوائق جدية في طريق تطور الأدب وانتقاله إلى طور أعلى. فباشر الأدباء والفنانون في نزع ثياب التقليد والخروج الى فضاءات رحبة واسعة بلا قيود عبروا من خلالها عن المبادئ الفكرية والفنية الجديدة.

- من الممكن ذكر عوامل إضافية عديدة أخرى لظهور الرومانتيكية منها سيطرة الحزن والخيبة وألإحباط وثقافة اليأس اليومية في أعقاب فشل الثورة الفرنسية الكبرى التي حين قامت بعثت الآمال في نشر مبادئ العدالة والمساواة والعدالة والحرية بين الناس والشعوب. لكن الثورة انتكست وعاد االحكم الملكي فانتكست الأمال معها وسادت روح اليأس والتشاؤم فجاء الأدب الرومانتيكي يعبر عن كل هذه المشاعر والإحباطات بأدب تسيطر على نصوصه الشكوى ومرض العصر ويتغنى بالآلام والآمال المدفونة ويهتم بالظلام وبالليل والموت والفراق حتى أن تاريخ الأدب سجل ما يسمى بأدب القبور كما جاء ذكر ذلك في الحديث عن الممهدات.

72- لذلك كله صارت الرومانتيكية أكثر المفاهيم مثار نقاشات ودراسات وبحوث واختلافات في وجهات النظر بين الكتاب والمفكرين والنقاد, حت أن بعضهم يؤكد بعدم وجود اتجاه أدبي اختلفت بشأنه الآراء كما هي الرومانتيكية.

73- لكنني لا أتفق مع من يشر إلى ما يسمونه " بطبيعتها المتناقضة ". إذ ليس هناك أكثر وضوحاً من الرومانتيكية لملاستها المزاج الإنساني والأحاسيس العميقة لدى الأديب والفنان.

74- وعلينا ملاحظة أن الرومانتيكية قد اخترقت بسماتها ومعالمها التيارات الأخرى وتداخلت معها كما سنرى في الصفحات اللاحقة. ويكفي أن نشير إلى أنها تجاوزت تاريخيا فترات وظروف انبثاقها التي يحدد البعض بداياتها بظروف الثورة الفرنسية وخاصة اعوام 1794 وما بعدها وظروف الثورات الأوربية منذ عام 1848 وما بعدها.

75- ولا يمكننا ان نتجاوزالقول أن الرومانتيكية لا زالت حية نشطة في يومنا هذا تجول وتصول في ميادين ألأدب كافة والفن بأنواعه بل كل الفعاليات الفكرية بما في ذلك الفلسفة.

76- لقد تزامن صعود وانتصار الرومانتيكية وانتشارها مع هبوط وانحسار الكلاسيكية في أوربا. فلقد كانت الحركة التويرية وبعدها التيار العاطفي من الممهدات التاريخية الفنية والأدبية والفكرية لنشوء الرومانتيكية لكنها ايضا كانت من العوامل التي ساهمت في خناق الكلاسيكية وإضعاف شوكتها.

77- وبالرغم من الزمن وتقلباته وأحداثه فإن الرومانتيكية تجاورت وتزامنت مع الواقعية الإنتقادية بل استاطاعت أن تغزوها في عقر دارها ثم راحت تتداخل معها لتشكلان عالماً مشتركاً لأعمال أدبية كبيرة ومعروفة منها الكثير من أعمال شكسبير ودستويفسكي وتولستوي وحتى غوركي. وفي الأدب العربي يكفي أن نشير إلى قصيدة معروف الرصافي والتي مطلعها:

لقيتها ليتني ما كنت القاها تمشي وقد اثقل الإملاق ممشاها.

78- ولنذهب أبعد من هذا فنقول: إذا استطاعت الرومانتيكية من تهميش وعزل إن لم نقل طرد الكلاسيكية من التاريخ فإن الواقعية ورغم كل انتصاراتها العالمية لم تتمكن من تهميش أو عزل ولا نقول طرد الرومانتيكية من أية ساحة من ساحات النشاط الإنساني. لذلك وكما يبدو مع شيء من مزاح : لم يبق أمام الواقعية إلا التوافق مع الرومانتيكية والتعامل مغها باعتباها أمراً واقعاً.

79- لذلك فإن الأسس التي استطاعت من جرائها الرومانتيكية أن تغزو الواقعية هي كونها مزاجاً ذهنياً خاصا ملهماً وحالماً وعنصرا أساسياً في الحياة الروحية العميقة تنبع من حياة القلب والروح الإنسانية مما يجعل الأدب من دون هذه العناصر جافاً لا حياة فيه وجسداً بلا روح. ومن هنا فإن من الحق القول أننا كمتذوقين للأدب وباحثين بل ونقاد ليس من اليسير علينا أن نتوقف عند واقعية شكسبير وبلزاك ودوستيفسكي وتسولتوي وتشيخوف وهمنغواي دون أن نلمس العنصر الرومانتيكي في أدبهم. وهذا هو الأدب العربي أيضا ولا سيما الحديث منه.

80- من هنا فإن الرومانتيكية عادت من جديد في عصرنا الحديث ومنذ بدايات القرن العشرين والى يومنا هذا ونحن في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين لتغدو عنصراً أساسياً من عناصر الكتابة الأدبية بكل أشكالها من شعر إلى قصة إلى رواية ومسرحية .

81- وإذا بحثنا عن السبب في استمرار الرومانتيكية وملازمتها الإبداع الأدبي والفني فلا بد من الوقوف على حقيقة أن الرومانتيكية كمذهب وكفكر وكرؤيا تحتوي كل على عناصر الأدب من خيال ومزاج وعاطفة وموسيقى ومشاعر عميقة وتطلعات روحية. هذا التشابه بينهما يجعلهما متلازمين. ولعل وجهة نظرنا هذه تنطبق على الكم الأكبر من أدبنا وشعرنا العربي على وجه الخصوص والذي تغلب عليه سمة الغنائية منذ عصر ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر.

82- لذلك ينبغي التوقف بروَية وتحفظ إزاء الربط بين ظهور الرومانتيكية وصعودها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ورد الفعل الخاص على تناقضات الثورة البرجوازية. فقد تكون هذه الظروف قد خلقت فعلا بيئة المناسبة لظهور الرومانتيكية لكنها كانت ستظهر حتماً في ظروف أخرى مماثلة أو غير مماثلة كأن تظهر في بلد آخر أو ظرف آخر أو مرحلة أخرى. كما هو الحال في وجودها العميق والراسخ في الثقافة العربية وفي الشعر خاصةً. وأظن أن الفارق هنا في سبق التسمية فقط.

83- ومن المهم التأكيد هنا على أن الرومانتيكية التي لازمت الصراع الإجتماعي بين الثقافة الإقطاعية في أفولها مع نظامها السياسي والاقتصادي والقيمي وبين الثقافة الديمقراطية في صعودها هي وتطلعاتها في الحقوق والمساواة والعدالة وتعبيرها عن تطلعات الشعب ومزاجه, هذه الرومانتيكية كانت قد جعلت من رفضها للوافع الذي خلقه التطور الرأسمالي أيضا ( ليس فقط الإقطاع والكنيسة ) أساس مواقفها الفكرية وعطائها الفني والأدبي.

84- وهي باعتبارها البديل التاريخي والنقيض للمذهب الكلاسيكي امتازت عن هذا الأخير بتجنب كتابها للصيغ ذات الدقة العلمية في تقديم أنفسهم وعرض تجاربهم ومشاعرهم بعكس الكلاسيكية التي اتسمت بالوضوح التام والمباشرة في التعبير وتجنب الغموض الذي يعتبر سمة أساسية من سمات الرومانيتيكة.

85- لذلك اعتبر الرومانتيكيون ان الحقيقة الفنية والعاطفية لا يعبر عنها بالأشكال المحددة والدقيقة ولا بالإستنتاجات العقلية والمنطقية بل بالتعبير العفوي النابع عن القلب ومن المخيلة ومن الإنطباع العفوي والخبرة الشخصية المباشرة.

86- هذا وقد تنوعت الرومانتيكية ذاتها واتخذت أشكالا عديدة تبعاً للفترة الزمنية الطويلة التي عاشتها والأحداث والتغيرات التي عايشتها حيث تطورت مع تطور الثقافة والأدب وتبعا للبلدان التي انتشرت فيها وكذلك تبعا للإتجاهات الساسية التي تبنتها أو تداخلت معها فكرياً.

87- وإذا ما تسنى لبعض الدارسين الوقوف على بعض الإختلافات بين تيارات الرومانتيكية في مختلف البلدان فلا ينبغي تفسير ذلك بما سماه البعض بالتناقضات داخل الرومانتيكية. إن الأفكار والنظريات وحتى الأديان عندما تهاجر من بلدٍ غلى آخر. إن قوانين التثاقف لا تستثني فكرةً أو نظاماً فلسفياً. والدليل على كل ذلك أن كل هذه التي سميت بالتيارات الرومنتيكية تجمعها مشتركات فنية وملامح فكرية تعزز رأينا القائل بوحدتها من حيث الجوهر. والدليل ألآخر أن الباحثين في المذهب الرومانتيكي يسلطون الضوء دائما على السمات العامة والتي هي مشتركة بين كل ما يسمونه تياراتها وفي النهاية تكون النتيجة أن ما هو مشترك اكثر بكثير مما يمكن تسميته بالفوارق.

88- في كتابه المهم والموسوم بـ " علم جمال المذهب الرومانتيكي " يتساءل الباحث ف.ف. فانسلوف كيف يمكننا فهم ذلك الشيء العام الذي يوحد جميع الرومانتيكيين بالرغم من تنوع بلدانهم وثقافاتهم وانتماءاتهم القومية والفكرية وشخصياتهم الإبداعية المميزة داخل المذهب نفسه؟. يتوصل الباحث إلى أن بالرغم من استقلالية وتميز كتاب الرومانتيكية تجمعهم من الناحية الفكرية والفنية السمات الأتية:

- التأمل الفلسفي.

- الشعور بخيبة ألأمل من المحيط وحتى الحياة.

- التفكير بمصير الأجيال.

- الأبوية والشعور بالعطف على ألآخرين.

- الإحتجاج على الظواهر الأنانية.

- رفض الجشع ووحشية بعض البشر.

- رفض الفرقة والعداء بين الناس.

- اسباغ الطابع الرومانتيكي على الطبيعة.

- الحنين إلى الماضي والنظر إليه بشاعرية.

- ومن الطبيعي أن يكون لكلٍ منهم حزمة أساليب وطرق للتعبير ورسم الصورة الأدبية والفنية في إطار المشاعر والأفكار والأحاسيس التي تنتمي إلى عالم الرومانتيكية الجميل ومنها إسباغ المشاعر الرومانتيكية حتى على الطبيعة.

- وعندما يشتد عدم الرضا على الواقع نجد البعض منهم يلجأ إلى الإنتماء السياسي والى معارضة النظام الإجتماعي القائم.

- او الهروب من الحياة واللجوء إلى العزلة وإلى العالم الروحي الشبيه جدا بالتجربة الصوفية.

- ويتوصل الباحث نفسه الى قناعة بوحدة التيار الرومانتيكي الجوهرية رغم تنوع كتابها ومدارسهم. لقد حقق نتائجه هذه في دراسته لشعر شعراء كبار مثل جوكوفسكي وليرمنتوف من روسيا ( ومثلهما ووردزورث وبايرون من انكلترا , وشليجل وشيللر من ألمانيا , شاتوبريان وفكتور هيجو من فرنسا )

89- وتلخيصاً لما تقدم يمكننا أن نجمل سمات الأدب الرومانتيكي بما يأتي:

- كان الإنسان في المذهب الرومانتيكي هو الغاية الأعلى لها ولأدبها وهو مركز اهتمام كتابها الأدباء والفنانون. وهم آمنوا بالحرية والفردية وبمعاناة الفرد وتطلعاته وحاجاته لذلك نجد أن الأدب الرومانتيكي اعتمد الفردية ( بمعنى ما تيعلق بالفرد ) أساساً في معالجاته كل المواضيع التي يطرحها.

- الفن الروماتتيكي امتاز بالموقف الإنتقادي المعارض بلا هوادة للواقع الإجتماعي الذي أرادته البرجوازية وخلقته في البلدان التي سيطرت ثورتها عليه.

- كما امتاز ايضا في هذا المجال بالتناقض الحاد بين واقع هذا المجتمع وما يتطلع إليه الأدب والفن الرومانتكيان. وإذا كان العيض يعتبر أن هاتين السمتين هما اللتان تشكلان جوهر المذهب الرمانتيكي وتحددان كل منظومة موضوعاته الفنية والفكرية وخصائصه الفنية فإننا نستمر فنضيف:

- اعتبر أساس مصلحة الفرد يتمثل في الحرية قبل كل شيء. فالإنسان كفرد حر , ومشاعره وعواطفه حرة, والكاتب حر فيما يكتب ويعبر عنه. وهكذا يتحقق مبدأهم في ذاتية التعبير عن المشاعر والعواطف. وبهذا أيضا تخلصوا من قيود الكلاسيكية التي حكمت الأدب وحددت حرية الأدباء ردحاً طويلا من الزمن. وفي ذاتية الأدب الرومانتيكي معارضة لما تسمى بالموضوعية ( اي العالم الخارجي ) وهو ثورة تحررية في ألثقافة والأدب والفن ومن هنا تحرر كتابه من قيود الكلاسيكية في الوحدات الثلاث والتقت في مسرحياتهم المأساة والملهاة في آن واحد دونما حرج أو تردد كما لم يتوانوا من تصوير مشاهد الموت ومناظر العنف المختلفة.

- إذا كانت الكلاسكية اعتمدت العقل أساساً في التعبير والتصوير وأخضعوا كل نشاطهم لسلطان العقل فإن هذا السلطان قد تجاوزه الرومانتيكيون تماماً واستبدلوه بالعاطفة التي غدت معلماً جوهرياً في أدبهم بدلاً من العقل. إنهم يرون في العقل أفراغاً للأدب من شروطه الأساسية المتمثلة بالعواطف والمشاعر مثل الحب والحنين والأشواق والعقل يصيب النص الأدبي بالجفاف والجمود. والعاطفة عندهم هي الحقيقة الأدبية وهي روح ألأدب وهي التي تنبع من ضمير الكاتب ووجدانه ألإنساني لا من قيود المفاهيم القديمة المحددة بأشكال وعبارات وصور وقواعد فرضت على الأديب وعلى القراء على السواء. لذلك نلمس في آدباهم مكاناً واسعاً للقلب الذي صار هو مصدرالإلهام وهو موطن الحدس الروحي الذي لا يتوهم لأنه هو منبع وموطن العواطف والمشاعر. وعلى هذا فهي تؤمن بالحب العذري والعفيف. يقول الشاعر الفريد دي موسيه (مسألتي الأولى هي أن لا أولي اهتماماً للعقل ) وينصح صديقاً له ( إقرع باب القلب فهناك فقط العبقرية والرحمة والألم والحب ). وإذا كان أبطال الأدب الكلاسيكي يقودهم العقل والمنطق وألأصول المتبعة وقوانين الوحدات الثلاث والنوع فإن أبطال الأدب الرومانتيكي يقودهم القلب والعاطفة ويسيرون حيث تأمرهم. فـ ( أحدب نوتردام ) مثلا وهو بطل رواية فكتور هيجو بهذا ألإسم ومشوه الجسم يقع في هشق فتاة حد الجنون وحبها يصبح كل وجوده في الحياة ويبقى يجري وراءها ويساعد في الخروج من مآزق كثيرة وينقذها من كثير من المشاكل لكنه عندما لم يتمكن من إنقاذها من عقوبة الإعدام دفن نفسه معها في القبر نفسه.

- استلهم الأدب الروماتيكي الطبيعة وجمالها وعشقها كتابه وشعراؤه وفنانوه. لقد وجدوا فيها كما في الأم حناناً ورحمة يهربون اليه من قسوة المدينة وشرور قيودها وضوابطها وقوانينها وانعدام العدالة في المجتمعات بين الناس. وهنا تلتقي مشاعرهم ورهافة أحاسيسهم وتفضيلهم القلب على العقل والحس الرهيف والعاطفة الجياشة مع جمال الطبيعة وانسجام الوانها وتجانس عناصرها فتولد ألأدب الجميل الملئ بالألوان والزهور والمطر والأنهار ومناغاة الطبيعة وأنهارها. وكلنا يذكر صرخة عاشق الطبيعة جان جاك روسو أن تخلوا عن المدينة وعودوا إلى الطبيعة حيث البساطة والنقاء والمساواة والخير الكثير.

- رافقت الرومانتيكية صعود الشعور القومي والرغبة في التحرر من سلطان ثقافة الكنيسة المركزية والإقطاع الذي بسط سلطانه على كل اوربا بواسطة أمراء وملوك لدويلات صغيرة وإن كان بعضها تجمعه مع بعض جيرانه وحدة اللغة والعنصر والثقافة والدين. ومع الثورات تعزز هذا الشعور لا سيما بعد أن توحدت هذه الدويلات في دولة قومية مستقلة. فراح الأدب الرومانتيكي يصور الواقع المحلي الجديد , الوطني والقومي , بل ويكتب بلغاته القومية المحلية مستغنياً عن اللاتينية لغة العلوم الضيقة ولغة ألأدب الكلاسيكي. وغدا يرسم واقعه الجديد ويتبنى مواضيع أبناء بلاده ومدينته وريفه بدلا من القضايا الإنسانية العامة التي كانت تنشغل بها الكلاسكية.

- استلهم كتّاب الرومانتيكية الأدب الرومانسي للقرون الوسطى التي سبقتهم وتاريخ الملاحم الأدبية العاطفية التي عرفتها دول أوربا الشمالية تاني عجبوا بها وشدتهم اليها بطولات شخوصها ومغامراتهم العاطفية واجواؤها الساحرة والعواطف الجياشة الحقيقية وشخصياتها التي من صفاتها النقاء والفطرة وفضائل الآداب العالية والشجاعة والإنسانية.

90- أهم أعلام الرومانتيكية :

- يرى المؤرخون أن الروماتتيكية في إنكلترا بدأت بصدور ديوان ( مقطوعات قصصية غنائية) وهو عمل أدبي رائع اشترك في كتابته الشاعران الإنكليوزيان وردزورث وكوليردج هام 1798 وقد كان صرخة مدوية ضد التقاليد الكلاسيكية ونقلة نوعي كبيرة إلى الوضوح والبساطة في الأسلوب وفي مواضيعه التي حدثت عن قضايا شعبية يومية معاشة مثل الصداقة والطبيعة وشيء عن الخرافات وفي اسلوب يعتمد اللغة السهلة قريبة من اليومية تخلو من الزخارف. أما في فرنسا فكان رائدها الكاتب الكبير فيكتور هيجو الذي زعزع أعمدة الأدب الكلاسيكي في مسرحياته الشعرية والشعر الغنائي عموماً. من أهم مسرحياته: ( هرناني ) و ( كرومويل ) ومن روياته الشهيرة ( البؤساء ) التي ترجمت الى لغات عديدة منها العربية ( وعمال البحر) و ( أحدب نوتردام ). ومن فرنسا ايضا لا مارتين والفريد دي موسيه والفريد دي فيني. أما من المانيا فقد اشتهر الكاتب العالمي جوته شاعراً وكاتبا روائياً ومسرحياً ولعل مسرحيته الشهيرة ( فاوست) التي عرفها العالم تقريبا ومنا القارئ العربي تعتبر من أهم وأخطر النماذج الأدبية الرومانتيكية وكذلك الحال بالنسبة لرواتيه ( آلام فورتر).

91- وهذه مقاطع من قصيدة رومانتيكية للشاعر الكبير وردزورث :

- إنهض! إنهض يا صديقي ! ولتصف نظراتك

- لم كل هذا العناء والضنى؟

- الشمس فوق رأس الجبل

- ضياء رقيق يجدد الحياة , قد بسط

- على كل الحقول الخضراء الممتدة

- صفرة الغروب العذبة الأولى.

- (....) تعال استمع إلى عصفور الغابة

- ما اعذب أنغامه ! لعمري

- أن فيها لحكمة أكبر

- (....) دع الطبيعة تعلمك وتهديك

- إن لها عالماً من الثروة الميسورة

- يبارك عقولنا وقلوبنا

- حكمة تلقائية تتنفسها العافية

الجانب الاجتماعي وصفات البطل الرومانتيكي :

92- ارتبطت الرومانتيكية في صعودها بأحداث كبرى هزت المجتمعات الأوربية مثل الثورة الفرنسية والحروب الدولية التي شنها نابليون بونابرت. ومع هذه الثورات والتغيرات سقطت أنظمة وحكومات وممالك كان لها صداها في تركيبة المجتمع. وانهيارها كان يعني أن علاقات اجتماعية جديدة راحت تتكون فتغير في شكل المجتمع وتركيبته. واثناء عملية التغيرات الإجتماعية علينا الإشارة الى الصراع السياسي الذي خاضته الأنظمة الإقطاعية أثناء انهيارها ضد البرجوازية ونطامها الصاعد. وتحركت القوى الإحتياطية للإقطاعية مثل الأدباء والمثقفين للتصدي للبرجوازية وما يرافقها من ثقافة اعتمدت أساساً على التذمر الشعبي العام ضد استغلال ونفوذ النخب الأرستقراطية وسلطانها.

93- لقد انتشرت في المجتمعات الأوربية ظواهر مثل الإحباط وخيبة الأمل واليأس لا سيما بعد فشل الثورة وما رافقها من انهيار الآمال في أن تتحقق مبادؤها المتمثلة بالحرية والإخاء والمساواة وتبددت أحلام الناس في السعادة الشاملة والرخاء الإقتصادي والإجتماعي.

94- كانت صفات البطل في الأدب الرومانتيكي متأثرة مباشرة بالفكر والرؤى التي رستخها الثورة البرجوازية ومفكروها وفلاسفتها. وبسبب فشل الثورات التي كانت أملا كبيرا للمجتعات الأوربية انتشر اليأس بين الناس وصاحبته سوداوية وإحباط كبيرين. وتحمل ألأدب الرومانتيكي في كل المراحل نتائج تطور او هبوط الثورات , انتكاساتها وانتصاراتها , تراجعها وتقدمها. وفي كل الحالات فإن البطل في الأدب الرومانتيكي يتسم بما يلي:

95- رفض الواقع والتقاطع معه وعدم الإنسجام مع معطياته. لكنه أيضا لا يطرح أي حلول لإشكالات هذا الواقع.

96- يغلب عليه أنه شخص حالم بمطامح كبيرة لكنه لا يجهل تماما السبل إلى تتحقيقها.

97- البطل الرومانتيكي يتميز عن مجتمعه باستثنائيته وبكونه إنساناً غير عادي.

98- يتمتع بقوة روحية واضحة وغالبا ما يكون ذا قوة بدنية فوق الطبيعية.

99- تحول التفكير أو الرغبة في التفكير إلى عذاب يعانيه البطل الرومانتكي فراح يبحث عت أسباب معاناته ومصدر عذاباته لكنه لم يتمكن من الوصول إلى أعماق الأسباب ومكامن كمونها وما الذي يختفي وراء معاناته.

100- لقد حاول البطل الرومانتيكي دائماً تغيير العالم بقواه الخاصة لكنه كان دائماً يصطدم بعجزه ومحدودية قدراته فتنهال عليه خيبات أمله الجديدة التي تتولد من الفشل الجديد والمعاناة الجديدة ومن هنا وكما يبدو لي سادت العتمة والسوداوية في الأدب الرومانتيكي ذي الصبغة الإجتماعية والسياسية.

101- لكن يجب أن نعترف أن هذه المعاناة وهذه العذابات هي التي كانت تقف وراء اتصاف البطل الرومانتيكي بالنبل والنفس الكريمة والسامية لأن هذه النفس هي وحدها القادرة على الإحساس بمعاناة الناس وآلامهم وتتحسس حاجاتهم وتطلعاتهم. يقول الفريد دي موسيه " أننا ننمو روحياً وذلك فقط عندما نعاني الحزن. إن عظمة النفس من عظمة المعاناة ". ويقول المؤلف الموسيقي شوبرت : " إن الألم يشحذ الفكر ويقوي النفس ". ترى هل هذا هو السر الكامن وراء تلذذ الرومانتيكيين بالمعاناة وتمتعهم بالألم؟

102- ولعل التسميتين " النزعة الأنانية Egocentrism و النزعة الإستبطانية Introspection " هما من أكثر التوصيفات الملائمة للشخصية الرومانتيكية. ومن هنا تأتي الرغبة العارمة والدائمة لديها للتصادم مع العالم. ومن هنا قد يتأتى الشعور الدائم بالغبن والرغب في الثورة. لذلك فإن الرومانتيكي في حقيقته متمرد عادةً. لذلك يتسم الفن الرومانتيكي بالتعبير عن المشاعر الجياشة والأحاسيس ذات الطبيعة الدرامية المتوترة والعاصفة الهائجة وتقلبات الأمزجة سريعاً والنزوات والإندفاعات القوية الحادة والعارمة.

103- لقد ترتبت على الرفض الشديد للواقع وتحديه أن انعكست على المسرح الرومانتيكي انفجارية الرغبات والنزوات وسيطرة العناصر الإنفعالية وعنف المشاعر وعملاقية الشخصيات المأساوية وسوداوية الواقع.

104- إن آلام العزلة تلاحق البطل الرومانتيكي أينما حلّ. فهو متشرد وجوّال ومستطرق ونهاياته مأساوية فيصبح الهروب من الواقع ومن هذا العالم هو المخرج الوحيد أمامه.

105- يجب الإشارة في نهاية الحديث عن البطل الرومانتيكي إلى أن أشكال الإحتجاج ضد الفساد والظلم وتفشي النزعات الإس تغلالية لم يتعد في أغلب الحالات حدود النقد الأخلاقي للشر والشكوى من تعاسات الناس وتلك هي اهم انعكاسات الروح المحافظة التي اتسم بها الروماتيكيون.

106- وأخيراً لا من ذكر أن من تفسيرات كلمة " رومانسية " أو رومانتيكية كنظرية أدبية ومدرسة نقدية ومذهب فكري أن أصلها يعود إلى كلمة " رومانس " بمعنى قصة أو رواية أو :حدوتة" سواء أكانت خيالية أو واقعية. لكن الكلمة دخلت الأدب الإنكليزي بمفهومها الخيالي فقط في القرن السابع عشر لتعني كل الأشياء ذات العلاقة بالخيال الجامح والغرام الملتهب وهو المعنى الذي ساد كل اوربا بعدئذٍ.

107- لكن في القرن الثامن عشر بدأ الناس في أوربا ينظرون إلى الروماتيكية باحترام وأكثر عمقاً بعد أن اصبحت مرتبطة بالتأمل الفلسفي العميق للكون والطبيعة والمجتمع. وكذلك لارتباطها بالتفكير الذي تشوبه مسحة من الحزن لإدراك الإنسان لحقيقة مصيره الذي يذكّره دائماً أن كل الأشياء الجميلة المبهجة هي سائرة حتماً إلى زوال.

20- وهذا كله لا يعني أنم لروح العربية لم تكن مفعمة بالرومانتيكية في اي عصر. بل إن هذه الروح كانت عاتية في بعض الأحيان , وكان القلق من جرائها على أشده, ولك التعبير عن هذه الروح في الأدب لم يكن يستسلم إلا للحدود المرسومة. واوضح العصور روكمانتيكية ذلك العصر الباكي – أعني العصر الأموي , الذي أوجد الشعراء العذريين والزهاد البكائين والشعراء الشيعة.

21- فإذا نظرنا إلى غزارة الدموع ورقة القلب , والهيام بإمرأة لها صورة عجيبة في الخيال , وجدنا حقاً هنا مظاهر رومانتيكية , ولكن هذاالعصر ايضا هو الذي أوجد الأخطل والفرزدق والراعي وذا الرمة والكميت وغيرهم.

22- وليس من باب التعظيم لبعض الشعراء أن نجد فيهم أحيانا – وفي بعض الوجوه – رومانتيكية متطرفة , ثم نرى أنهم كلاسيكيون متشددون في نواحٍ أخرى. تأمل شعر أبي ذؤيب وذي الرمة والمتنبي فإنك واجدٌ شيئاً عجيباً من هذا القبيل , ويمكن أن يقال في هؤلاء واضرابهم إنهم رومانتيكيون ثائرون لكنهم مقيدون إلى حد بعيد بالموروث ألأدبي والذوق العام والمظرية النقدية.

23- وفي الميل إلى اللامحدود يستوقفنا الشعر الصوفي , فربما هو الشعر الوحيد الذي استأثر بهذه الصبغة الرومانتيكية. على أن العيب في هذا اشعر و أن قائليه لم يكونوا من أفذاذ الشعراء, وحين نلتقي أدقهم إحساساً بالجمال وهو أبن الفارض , نجد أن الإهتمام بالشكل قد استغرقه , حتى فوت عليه الإنطلاق وراء الخيال.

24- ومع ذلك فإن الشعر الصوفي , ونجديات الشريف الرضي واشعار الإغتراب والحنين و لاتزال اقرب إلى التعبير ألإيحائي من سائر الشعر العربي , وأحفل بالعاطفة التي تبدو لنا فيضا تلقائيا في الغزل العذري.

25- ولا يكننا ان نجد مدرسة رومانيكية واضحة المعالم إلا في العصر الحديث. ومؤسسها جبران خليل جبران كان رمانتيكيا إلى أطراف أصابعه. وصوره تكاد لا تفرق في شئ عن شعراء الرومانتيكية في فرنسا وانكلترا.

26- وقد مجدت هذه المدرسة

- العودة الى الطبيعة

- وألّهت النغمة ,

- وامتلأت بالحنين الطاغي ,

- وبالكآبة والألم ,

- وبالنفور من حياة المدينة

- وبالثورة على التقاليد والشرائع.

- وقدست شريعت الحب واتخذت القلب إماما هاديا ,

- وغمرتها الرموز الصوفية ,

- وثارت على الشكل واهتمت بالمضمون

- وحطمت القالب اللغوي الصلب.

- ولجات الى التحليل ,

- وتعلقت فيما كتبه جبران بخيال لا يقر على هذه الأرض إلا ليستجمع فيطير إلى آفاق أعلى.

27- وقد كثر تلامذة هذه المدرسة سواء بتأثير من مدرسة المهجر , أو بمؤثرات مباشرة من أوربا , فإذا بها تعم البلاد العربية فتظهر في :

- الزهد والتصوف والإغراق في الروحانية والميل الى الطفولة عند التيجاني يوسف بشير ,

- والميل إلى الطفولة وعشق المراة المنحوتة من الوهم في شعر الشابي ,

- كما ظهرت في تقديس الألم والكآبة عند أبي شبكة ,

- وفي الإنطوائية الباكية عن أنورالعطار,

- وفي البرج العاجي والهيام بالتطواف في شعر علي محمود طه ,

- وفي العودة إلى الريف والبدائية والبساطة عند محمود حسن اسماعيل وغيره.

28- وزادتها الحرب العامية الثانية امتداداً , فظهرت في شعر المرأة قريبة الشبه بالمرض , كما عند فدوى طوقان ونازك الملائكة في ديوانها الأول :

- إغرا ق في الوهم.

- وعشق للأخيلة وهالم اليوتوبياإلى ,

- وتمثلت في شعر الشباب العراقي حنينا إلى المجهول,

- وصورة للتعب وألإرهاق واليأس

29- وهي النغمات التي تعلق بها البياتي وبلند الحيدري والنحروق والوتري وإن كان بعض هؤلاء قد حاول أن يتخلص منها بعد فترةمن الزمن. ولنمثل بالبياتي فإنه بعد ديوانه " ملائكةوشياطين" حاول أن يخلع ثوب الرومانتيكية فإذا بها تسري في شعره في ديوانه الثاني " أباريق مهشمة" وتطل في الحنين إلى الطفولة وتقديس الريف وكره الحياة في المدينة , وغير ذلك من سمات رومانتيكية.

30- وسيجد كن يتتبع قيام هذه المدرسة في أدبنا الحديث أنها بدات صورة لرومامتيكية بليك زردزورث وروسو , ومفلسفة واضحة ألصول , ثم أخذت المؤثراات الخارجية المتلاحقة تجعل منها " ظاهرة عصبية " زادتها الحرب لثانية توتراً وانظائية واعتكافاً , وصبغتها المذاهب بألوان مختلفة , فهي تقترب حينا من الرمزية , أو تنساب فيها أخيلة عالم أدجار الان بو أو تنبسط عليها ظلال الوجودية.

31- وقد مدت هذه الروح الومانتيكية خيوطها في جهات متعددة فلم تسلم من تأثيرها مدرسة الكلاسيكية الجديدة التي بدأها شوقي واحتفظ لها بمميزاتها الاصيلة أمثال الأخطل الصغير وأمين نخلة وامتدت أصابعها إلى عالم القصة عند المنفلوطي ومن تأثر به , وعندما عقدت صداقة مع الروح الدينية في نفس مصطفى صادق الرافعي وتلامذته كان نتاجها مدهشاً في الصور , غريبا في الإلتواء, فذاً في عشق المعجب وتفضي الغريب. أما هند مي زيادة ؟؟؟ فقد جعلت المقالة رفيفاً جميلاً من ألخيلة والصور. ونركن مسحة قوية وعميقة في شخصيات توفيق الحكيم , وبرجه العاجي , ومثاليته الحالمة.

الرومانسية

والأدب العربي الحديث ـ الذي هو صدى للآداب الغربية ـ كان له من الرومانسية حظ عظيم ونصيب وافر، وعلى أساسها وبوحي منها قامت المدارس الأدبية، كمدرسة الديوان، ومدرسة أبولو، أو جمعية أبولو للشعر، ومدرسة المهجر.

بل إن مدرسة الديوان ممثلة في زعمائها الثلاثة : العقاد، والمازني، وعبدالرحمن شكري، صدرت في نقدها لمسرحيات شوقي وشعره ونثر المنفلوطي من الرومانسية ومبادئها وتعاليمها، وتأثرت هذه المدرسة أكثر مما تأثرت بالرومانسية في الأدب الإنجليزي.

وصدى لهذه المدارس الأدبية في أدبنا العربي الحديث، لمعت نجوم لامعة في سماء الشعر الرومانسي الرقيق الحالم من أمثال الدكتور إبراهيم ناجي، صاحب دواوين: الطائر الجريح، وليالي القاهرة، ووراء الغمام، وعلي محمود طه في الملاح التائه، وليالي الملاح التائه، وأبي القاسم الشابي، وعمر أبي ريشة، وصالح جودت، وميخائيل نعيمة، ومن قبل هؤلاء جميعاً خليل مطران، ونورد فيما يلي مقتطفات من قصيدة شعرية تشيع فيها المعاني، والأخيلة الرومانسية لشاعر سورية الملهم عمر أبي ريشة (1910 ـ 1990م):

لمن تعصرُ الروحَ يا شاعرُ؟

أَما لضلالِ المنَى آخرُ

أللحبِّ؟ أين التفاتُ الفنونِ

إذا هتَفَ الأملُ العاثرُ

أللهو؟ كم دميةٍ صُغْتها

ومزَّقَها ظفركَ الكاسرُ

أللمجد ؟ ماذا يحس القتيلُ

إذا ازورّ أو بسمَ العابرُ

أللخلدِ ؟ كيف ترد الذئابَ

وقد عضَّها جوعها الكافرُ

رويدك لا تسْفَحَنَّ الخيالَ

ببيداءَ ليس بها سامرُ

أَماَ يُرْقِصُ الكونَ في صَمْته

كما يُرقصُ الحيَّةَ الساحرُ

دَعِ الحلمَ يخفقُ في ناظريكَ

فموعده غدكَ الساخِرُ

3- مدرسة الديوان á

مقدمة

 روادها: عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وعبد الرحمن شكري ، وقد جمعت ثقافتهم بين التراث العربي والأدب الإنجليزي متأثرين بخليل مطران .

س1:ما المناخ الذى ساعد على تآلف أصحاب مدرسة الديوان واتجاهاتهم إلى الرومانسية ؟

1- كان العقاد وشكري والمازني يمثلون الشباب العربي الذى تصادمت آمالهم وطموحاتهم مع الواقع الاستعماري البغيض، فلم يجدوا إلا أن يهربوا من عالم الواقع المؤلم إلى الأحلام والأوهام ، ويعيشوا في عالم من صنع خيالهم ، يلجئون إلى الطبيعة يبثونها آمالهم الضائعة ، ويأسهم من الحياة ، ويتأملون في الكون ويتعمقون أسرار الوجود.

2- تآلف الشعراء الثلاثة وجمع بينهم اعتزازهم بالثقافة العربية ، وتأثرهم بالرومانتيكية الإنجليزية ، فعبروا بمواقف حارة وتجربة صادقة عن المأساة التي يعيشها جيلهم ، واتجهوا في شعرهم إلى الذات الإنسانية ، وجنحوا إلى الخيال ، ومن ثمّ اتفقوا مع خليل مطران الذى أخذ عن الرومانسية الفرنسية فيما ذهب إليه من اتجاه وجداني ، وساروا في نفس الطريق الذاتي العاطفي .

3- بدأ الشعراء الثلاثة منذ عام 1909م ينشرون آراءهم ويدعون لمذهبهم , في مقالات بالصحف , وفي مقدمات دواوينهم , ومن ذلك ما يقول العقاد ـ ملخصا موقف مدرسة الديوان في مقدمة الديوان الأول لإبراهيم المازني عام 1913م : " لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي , ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم , فهم يشعرون بشعور الشرقي , ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي , وهذا مزاج اول ما يظهر من ثمراته أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال , وبفع غشاوة الرياء , والتحرر من القيود الصناعية " .

س2:كانت نظرة شعراء الديوان إلى الشعر تختلف عن نظرة الإحيائيين . فيم كان هذا الاختلاف ؟ وماذا ترتب عليه؟

 وجد أعضاء جماعة الديوان أن نظرتهم إلى الشعر تختلف عن نظرة الإحيائيين ، فالإحيائيون ينظرون إلى الخلف ويعيشون في ظلال القديم ، بينما ينظر جماعة الديوان إلى الأمام يستلهمون ذواتهم ، وخيالاتهم ، وعواطفهم ، وأحداثهم ، ويعبرون عن مأساة عصرهم .

 ونتيجة للاختلاف الكبير بين النظرتين ، أخذ شعراء الديوان يهاجمون الإحيائيين ، وفى مقدمتهم "أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومصطفى صادق الرافعي" في كتابهم " الديوان في الأدب والنقد " الذي أصدره العقاد والمازني عام 1921م , وبه سُمّي ثلاثتهم " مدرسة الديوان " .

س3:ما المآخذ التي أخذتها مدرسة الديوان على شعراء الإحياء والبعث ؟

1- استلهام النماذج البيانية القديمة مثلا أعلى لهم في شعرهم , وطغيان الجانب البياني على المضمون والفكرة .

2- الاهتمام الزائد بشعر المناسبات ، والبعد عن تصوير خلجات النفس الإنسانية ، وإن كتب العقاد في المدح ، معللا بأن المدح الصادق ليس عيبا .

3- الاهتمام بقشور الأشياء وظواهرها.

4- عدم وضوح شخصياتهم الشعرية في شعرهم ، وبخاصة في معارضاتهم للشعر القديم.

5- عدم مراعاة الوحدة الفنية في شعرهم ، وانتقالهم من غرض إلى غرض آخر فى القصيدة

6- مبالغتهم وعدم وضوح الصدق في شعرهم .

س4:ما الخصائص الفنية لشعر جماعة الديوان ؟

1. جمعوا بين الثقافة العربية ، والثقافة الإنجليزية .

2. التطلع إلى المُثل العليا التي تتجاوز واقع عصرهم وتفوق طموحاتهم .

3. الشعر عندهم تعبير عن النفس الإنسانية وما يتصل بها من التأملات الفكرية والنظرات الفلسفية .

4. التمسك بالوحدة العضوية فالقصيدة عندهم كائن حي لكل جزء فيه وظيفته ومكانه .

5. وضوح الجانب الفكرى في شعرهم ، مما جعل الذهنية تكثر فى شعرهم والعقلانية تطغى على العاطفة ،

6. يقول المازنى :

لبست رداء الدهر عشرين حجةً

وثنتين يا شوقي إلى خلع ذا البرد

عزوفاً عن الدنيا ، ومن لم يجد لها

مراداً لآمال تعلل بالزهد

7. التأمل في الكون ، والتعمق في أسرار الوجود .

8. الصدق في التعبير ، والبعد عن المبالغات .

9. ظهور مسحة الحزن ، والألم ، والتشاؤم ، واليأس في شعرهم .

10. تخلصوا من تأثير الآداب القديمة ، فلم يستعيروا المادة الأدبية القديمة ، واستخدموا لغة العصر .

11. البعد عن المناسبات والموضوعات السياسية والاجتماعية .

12. اهتموا بتعميق الظواهر على جوهرها ، مما جعل الفكر يسبق الشعور عندهم .

13. الاهتمام بوضع عنون للقصيدة ؛ تأكيدا لفكرة الوحدة العضوية ، بل وضعوا عنوانا للديوان كله ليدل على الإطار العام للديوان ، كما فى : " عابر سبيل" للعقاد ، وكما فى " أزهار الخريف " لشكرى .

س5:كيف انتهى المطاف الأدبى بالمازنى وشكرى والعقاد ؟

 إن الشعراء الثلاثة فشلوا في صداقتهم بعد فترة وانفضّت مدرستهم بعد أن هاجم شكري المازني لاختلافهم في بعض القضايا الأدبية ، وانضمّ العقاد إلى جانب المازني ، فتوقف شكري عن قول الشعر وأخلد إلى العزلة ، وانصرف المازني عن قول الشعر وآثر كتابة القصة والمقال ، وبقي العقاد وحده ممثلا لهذا الاتجاه.

تلاميذ العقاد :محمود عماد ، عبد الرحمن صدقى ، على أحمد باكثير ، الحسانى عبد الله وأمثالهم بمصر ، ومحمد حسن عواد بالسعودية ، وغيرهم كثيرون فى البلاد العربية .